ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (١١٨) - اعرف امامك (ج١٧)
صحائف العقيدة السليمة - القسم(11)
الصحيفة (٣) - قيّمة الدين (ق٦)
-رد شبهة بخصوص إمامة فاطمة عليها السلام
الجمعة : ١٧/شهررمضان/١٤٤٢هـ - الموافق ٣٠/٤/٢٠٢١م
عبد الحليم الغزّي

منذُ بداية هذه الحلقات في أول شهر رمضان بيّنتُ لكم وذكرتُ هذا أكثر من مرّة: من أنَّ البرنامج ليس للاستدلال والمحاججة والجدل، ليسَ فراراً من كُلِّ ذلك، إذا كنتم تبحثون عن الأدلّة والحُجج فإنَّني قد طرحتُها في برامجي السابقة وأشرتُ إلى مجموعة حلقات من برنامج (دليلُ المسافر)، وسيُعاد بثُّها في هذه الأيام، ستشاهدون الإعلان الَّذي يُخبركم عن أوقات عرضها، لضيقِ الوقت فإنَّني ابتعدتُ عن الاستدلال والمحاججة والجدل، ولكنَّ الرسائل الَّتي تصلني تدفعني إلى تناول بعض الموضوعات لضرورتها، منذُ أن طرحت هذا الموضوع بشكلٍ مُفصّلٍ في برامجي السابقة وهناك من يضعُ بين يدي هذا السؤال، أعرضتُ عنه فيما سلف، فيما سلف من الأيام لكنَّني وجدتُ نفسي مُضطراً أن أُجيب على هذا السؤال..
السؤالُ في الحقيقة من وجهة نظري ما هو بسؤال (إنَّها عمليةُ استشكال على عقيدة على فكرة طُرحت)، وهذا مرضٌ موجودٌ في أجواء مؤسَّستنا الدينيَّة، حينما يُطرحُ فكرٌ سَديدٌ فإنَّ المؤسَّسة الدينيَّة تُسجِّر تنّورها وتبحثُ عن أيِّ شيء لمجرَّد الإشكال لأجل توهين وتضعيف ما طُرح..لا أريدُ أن أخوض كثيراً في هذه القضيّة وإنَّما أذهبُ إلى هذا السؤال الَّذي طُرِح عَلَيَّ مراراً وبعبارةٍ أخرى هذا الإشكال الَّذي أُشكِلَ به على حديثي وأنا أتحدَّثُ عن إمامة فَاطمَة.
الإشكالُ مردّهُ إلى رواية نُقلت عن الإمام الصَّادق صلواتُ الله وسلامهُ عليه بحسب المصدر الَّذي نقلها، ما جاء في كتاب دعائم الإسلام / في الصفحة السابعة والثلاثين / وهذه الطبعةُ طبعةُ دار الأضواء / بيروت - لبنان / إنَّها الطبعةُ الأولى / ١٩٩١ ميلادي / في الصفحة السابعة والثلاثين من الجزء الأول من هذا الكتاب (دعائم الإسلام): **قالَ السائلُ** - بحسبِ ما جاء في هذا الكتاب من أنَّ سائلاً يُسائلُ الإمام الصّادق - **قال السائلُ: فأخبرني عن خُروج الإمامة من وُلد الحسن إلى وُلد الحُسين كيف ذلك؟ وما الحُجَّةُ فيه؟** - لماذا حُصرت الإمامةُ في وُلد الحُسين؟ - **قالُ الصادقُ** - بحسبِ الكتاب - **قولُ الله تبارك وتعالى: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً"، أنزلت هذه الآيةُ في خمسة نفرٍ شَهِدَت لهم بالتطهير من الشِّركِ ومن عبادة الأصنامِ وعبادة كُلِّ شيءٍ من دونِ الله، أصلُها دعوةُ إبراهيم حيثُ يقول: "وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ"، والخمسةُ الَّذين نزلتَ فيهم آيةُ التطهير رسولُ الله وعليٌّ وَفَاطمَة والحَسنُ والحُسين وهُم الَّذين عَنَتهُم دعوةُ إبراهيم فكانَ سيِّدهُم فيها رسول الله وكانتَ فَاطمةُ صلواتُ الله عليها امرأةً شَرِكَتهُم في التطهير وليسَ لها في الإمامة شيء وهي أُمُّ الأئمَّة صلواتُ الله عليهم.**
موطنُ الشاهد هنا، موطنُ الإشكال هنا، موطنُ السؤال هنا، قولوا ما شئتم ليس مهماً: **وكَانتَ فَاطمةُ صَلواتُ الله عليها امرأةً شَرِكَتهُم في التطهير** - في هذه الآيةَ في آية التطهير - **وليس لها في الإمامة شَيء وهي أُمُّ الأئمَّة صلواتُ الله عليهم** - (وليسَ لها في الإمامة شيء) ويستمر الكلام - **فلما قبضَ اللهُ نبيَّهُ كانَ عليّ بنُ أبي طالب أولى النَّاسِ بالإمامة بعدَ رسول الله** - ثُمَّ تنتقلُ الإمامةُ بعد ذلك إلى الحسنِ إلى الحسينِ وهكذا.
يمكنني أن أوجز الكلام فأقول: من أنَّ الرواية هذه تتحدَّثُ عن سلسلة الأئمَّة الاثني عشر، إنَّها سلسلةُ الأئمَّة الأوصياء وفَاطمَةُ صلواتُ الله عليها لم يَرِد ذكرها في هذه السلسلة مثلما أنَّ رسول الله لم يَرد ذكرهُ في هذه السلسلة، يُمكنني أن أُجيب بهذا الجواب، لكنَّني سأُفصِّلُ القول في الأمر، لأجلِ أن تطلعوا على كثيرٍ من الحقائقِ الَّتي تخفى عليكم، وإلَّا فبإمكاني أن أُجيبَ بهذا الجواب،
لكنَّني لا أريدُ أن أختصر الحديث بهذه الطريقة لماذا؟ لأنَّ الرواية فيها إشعارٌ من أنَّ فَاطمَة ما هي بإمامٍ لأنَّها امرأة (وكانت فَاطمةُ صلواتُ الله عليها امرأةً شَرِكَتهُم في التطهير وليسَ لها في الإمامة شَيء وهي أُمُّ الأئمَّة).
يمكنني أيضاً أن آخذ من هذه الجهة ومن هذا التعليل من أنَّ فَاطمَة امرأة ولذا فهي لم تكن مذكورةً في سلسلة الأئمَّة الأوصياء الرجال، فسلسلةُ الأئمَّة الأوصياء كُلُّهم رجال، لأنَّهم هُم الَّذين سيتصدونَ لأمرِ الحكومَة والسياسة، هذا لا يعني أنَّ فَاطمَة قاصرةٌ عَن ذَلكَ، عاجزةٌ، الأمر ليسَ كذلك، الظروفُ الموضوعيةُ والثقافةُ في المجتمعات الَّتي عايشها الأئمَّةُ وعبر تاريخهم إلى زمانِ قائمهم صلواتُ الله عليهم فإنَّ حُسن التدبير وإنَّ سرّ القيادة وإنَّ كمالَ الإدارة لا يكونُ إلَّا بهذا النَّظمِ وبهذا الترتيبِ الَّذي نُظِّمت به سلاسلُ الإمامة وفقاً لحكمتهم الَّتي هي حكمةُ الله صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين.
قلتُ لكم: أنا لا أريدُ أن أختصر الجواب، وإلَّا بإمكاني أن أُمسكَ بنقطة بحيثية من الحيثيات في هذه الرواية وبعد ذلك سأقومُ بالتفريع وسأقومُ بتفصيل الحديث، لكنَّني لا أريدُ أن ألفلف الموضوع بهذه الطريقة، أريدُ أن أضعَ النقاط على الحروف.
لذا سأقولُ:
- من أنَّني سأُسلِّط الضوء على مؤلف هذا الكتاب.
- وسأسلِّط الضوء على الكتابِ نفسه.
- وسأسلِّط الضوء على الحديث هذا بنفسه أيضاً من جهة الأسلوب ومن جهة المضمون.
- وهناك مطالب أخرى سأتناولها.

سأبدأ من مَؤلِّف الكتاب.

الكتاب الَّذي هو مصدرٌ لهذه الرواية إنْ صحَّت إنْ صحَّت هذه الرواية، الكتابُ هو (دعائمُ الإسلام) كتابٌ مشهورٌ معروف، وهو للقاضي أبي حنيفة النعمان بن محمّد التميمي المغربي، قطعاً ليس المرادُ من أبي حَنيفة النعمان هو إمامُ الأحناف النعمانُ بن ثابت بن زوطي، هذا هو جدّهُ جدَّ أبي حنيفة النعمان، فأصلهُ من كابول من أفغانستان، أصل أبي حنيفة النعمان الَّذي هو إمامُ الأحناف، النعمانُ بنُ ثابت بنُ زوطي، زوطي هذا نحنُ لا نعرفُ دينهُ ولا نعرفُ تاريخه، لكنَّ هذا هو المعروف في نَسبِ ما يُوصفُ (بالإمام الأعظم)، المؤلف هنا لا علاقة لهُ بإمامِ الأحناف، هذا تميمي مغربي، مجردُ تشابه في الكنى والأسماء.

هذا المؤلفُ هل هو شيعيّ؟ هل هو من الشيعة الاثني عشرية؟

لا يوجدُ دليلٌ واحدٌ على الإطلاق، على الإطلاق، لا شأن لي بما قالهُ مراجع النّجف عُلماءَ الشيعة، لا شأن لي بأقوالهم، أصابوا أخطأوا هم مسؤولون عن أقوالهم، أ نا أحدِّثكم هنا عن تحقيقي عن الَّذي وصلتُ إليه وليس اليوم عبرَ السنين الطويلة، أحدِّثكم عن قناعتي عمَّا وصلتُ إليهِ في بحثي، قطعاً وفقاً لمنهج العترة الطاهرة، فلا شأن لي بما قالهُ ويقولونه مراجع النّجف مراجعُ الشيعة، أصابوا أخطأوا.

ما يوجدُ في كتبِ التاريخ والسير هناك أمرٌ واضحٌ صريحٌ جِدَّاً: هو إسماعيليّ - وأقولُ هذا بقطع - وما كان شيعياً اثني عشرياً أبداً ولا في ثانيةٍ من ثواني عمره، هو إسماعيليٌّ وإسماعيليٌّ مُتعصِّبٌ لإسماعيليته.

هناك كلامٌ من أنَّهُ كان في بادئ أمره مالكياً، كانَ من المخالفين، والمذهبُ المالكيُّ منتشرٌ في شمالِ أفريقيا وإلى يومنا هذا، فهناك في الكتبِ ما يُشير إلى أنَّ بداياته كان مالكياً ثمَّ صار إسماعيلياً، لكنَّنا لا نملكُ دليلاً قطعياً على هذا الأمر.

أمَّا أنَّهُ إسماعيليّ فهذا أمرٌ مقطوعٌ به بدرجةِ مئة بالمئة، كُلُّ المعطيات وكُلُّ الحقائق تُشيرُ إلى أنَّهُ إسماعيليٌّ ومن كبار الإسماعيليين، ومن قادةِ الإسماعيليين، ومن عظماء الدعاة الإسماعيليين، ومن الدائرة القريبة من أئمَّة الإسماعيليين، كُلُّ الحقائقِ تُشيرُ إلى ذلك.

القولُ من أنَّهُ شيعي اثنا عشري وأنَّهُ كان يتَّقي هُراء في هراء، هذا الكلامُ لا قيمة لهُ أصلاً، هناك من يُردِّدهُ في الأجواء الشيعيَّة، في الأجواء الحوزوية النَّجفية وفي غيرها، حينَ نتحدَّثُ عن النَّجف لا أتحدَّثُ عن الجغرافيا أتحدَّثُ عن المنهج، إن كانوا يقطنون في النَّجف أو كانوا يَقطنون في بلادٍ أخرى، فالقولُ من أنَّهُ شيعيّ اثنا عشري هذا القولُ قولٌ لا قيمةَ لهُ أبداً وسيتضحُ لكم ذلك.

فهذا المؤلفُ إسماعيليّ، ما جاء من وصفه في بعض الكُتبِ من أنَّهُ شيعيّ، فالإسماعيليون في نظرِ عُلماء السُنَّة هم شيعةٌ، والإسماعيليون في نظرِ عُلماء الشيعة الَّذين ألَّفوا كتباً في الفرقِ والمجموعات وأصحاب المقالات والملل والنِّحل قالوا عنهم من أنَّهم من فرق الشيعة، وحتَّى في كتب الفقه رُبَّما يَعدونهم من فرقِ الشيعة الضالَّة، لكن في نظرِ أهل البيت ما هم كذلك، هم والنَّواصب على حدٍ سواء إنْ لم يكونوا أسوأ، في أحاديثِ أهلِ البيت هم والنَّواصب على حدٍ سواء.

سيقولُ قائلٌ : من أنَّهم يزورون الأئمَّة، من أنَّهم يبكونَ على الحسين، إلى إلى، ما هوَ الخطر هنا! أنتم تعتقدونَ أنَّ النَّصبَ هو في بُغض القلوبِ لـمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد؟ لأنَّكم لا تعرفون ثقافة العترة، الأئمَّةُ يقولون: (إنَّكم لا تجدونَ أحداً في النَّاس يقول إنِّي أُبغِض مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد)، حتَّى الوهابيون يقولون من أنَّ حبَّ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد من الواجبات..

هل تعتقدون أنَّ النَّصب هو في البغَض العاطفيّ؟! النَّصب ليس في البغض العاطفي، البغضُ العاطفيّ يُمثِّلُ جهةً من جهات النَّصب، النَّصبُ الَّذي يتحدَّثُ عنهُ الأئمَّةُ النَّصبُ الفكريّ، النَّصبُ العقائديّ، هو هذا النَّصبُ الخطير.

الإسماعيليون بنظرِ أئمَّتنا - أتحدَّثُ عن منهجِ الأئمَّة الاثني عشر، عن منهجِ الأئمَّة الأربعة عشر، أتحدَّث عن هذا المنهج - هؤلاء نواصب، نواصب لأنَّهم يحملون عقيدةً مُخالفةً لعقيدتهم صلواتُ الله عليهم، هم يقفون عند الإمام الصَّادق من الأئمَّة وبعدَ ذلك يُؤسِّسونَ منهجاً جديداً للإمامة عندهم، هؤلاء جاءوا بدينٍ جديد فلا يُعدّون من الشيعة، هؤلاء يُعدّون من النَّواصب، إنَّني أتحدَّثُ عن منهجِ الأئمَّة الاثني عشر، عن منهج الأئمَّة الأربعة عشر، عن سلاسلِ الإمامة، عن منهجِ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد، أتحدَّثُ عن هذا المنهج، عن منهجِ الكتابِ والعترة، الإسماعيليون وغيرهم نواصب، هؤلاء نواصب العقيدة ، ومن هنا عدَّ إمامنا الصَّادقُ أكثر مراجع الشيعة، أتحدَّثُ عن مراجع التقليد عند الشيعة الإمامُ الصَّادقُ عدَّهم في روايةِ التقليد عدَّهم نواصب ووصفهم بأنَّهم أسوأ من بني أمية، لماذا؟ لأنَّ الأئمَّة وضعوا لنا منهجاً من أنَّ نواصب السقيفة هم أعداء الشيعة، أمَّا نواصب الشيعة فهم أعداء الأئمَّة، هذا الكلامُ واضحٌ فيما قالهُ إمامنا الصَّادق للمفضَّلِ بن عمر (**قَالَ: النَّاصِبة أَعْدَاؤكُم** - يا مُفضَّل إنَّهم أعداء الشيعة - **وأمَّا المقصِّرة فهم أعدَاؤنا** - فهم أعداء أهل البيت)

خُلاصةُ القول:

فأبو حنيفة هذا لا يوجد دليلٌ واحدٌ - إنَّني أتحدَّثُ عن أبي حنيفة التميمي المغربي الإسماعيلي - لا يوجدُ دليلٌ واحدٌ مطلقاً يُشير إلى أنَّهُ كان شيعياً اثني عشرياً أبداً، وما يقولهُ، ما يقولهُ بعضُ مراجع الشيعة هؤلاء، لا أريدُ أن أُعلِّق على كلامهم، هؤلاء يقولون كلاماً ناقضاً للوضوء، لا أريدُ أن أقول أكثر من ذلك، القولُ من أنَّهُ كان مالكياً على المذهب المالكي في بَداياته وتحوَّل بعد ذلك إلى الإسماعيلية، هذا ممكنٌ ورد هذا الكلام، فالرجلُ مغربيّ من شمال أفريقيا، والمذهبُ المالكيُّ منتشرٌ في تلكَ الأصقاع وإلى يومنا هذا، لكنَّنا لا نملكُ دليلاً على ذلك، هذه المعلوماتُ موجودةٌ، الأدلَّةُ المتوفرةُ بينَ أيدينا وهي كثيرةٌ تُشيرُ إلى أنَّ الرجل كانَ إسماعيلياً مُتعصباً وإسماعيلياً من الطراز الأول. فالمؤلفُ إسماعيليّ كتابهُ ماذا سيكون؟ سيكونُ كتاباً إسماعيلياً وفقاً للمذاقِ الإسماعيلي، وفقاً للعقائد الإسماعيلية.

أبو حنيفة هذا التميميّ المغربي الَّذي توفي سنة ٣٦٣ للهجرة؛ كانَ من خُدَّامِ أول خليفة من خُلفاء الفاطميين، كان خادماً مخلصاً ومُلتصقاً به شديد الالتصاق ومُعتقداً بإمامته، الخليفةُ أو الإمامُ بنظر الإسماعيليين الأولُ هو المَعروفُ في كُتب التاريخ (بعُبيد الله المهدي)، ولذلك تُسمّى الدولةُ الفَاطميّةُ في كُتبِ التاريخ تُسمَّى بالدولة العبيدية، نسبةً إلى عُبيد الله المهدي، الَّذي أسَّس الدولةَ الفَاطميّة، وأسَّس عاصمتهُ الأولى في تونس إنَّها المهديّةُ العاصمةُ الأولى للدولة الفَاطميّة، المهديَّةُ هي عاصمةُ عُبيد الله المهدي والَّذي يُسمَّى في الثقافة الإسماعيلية يُسمَّى (المهدي بالله)، المهدي بالله هو إمامهم الأولُ في سلسلة خُلفاء الدولة الفاطميَّة، لا أتحدَّثُ عن الإمام الأول بعد الإمام الصَّادق، فإمامهم الأولُ بعد الإمام الصَّادق هو إسماعيلُ ابن الإمام الصَّادق، والَّذي توفَي في حياة إمامنا الصَّادق، لكنَّهم يعتقدون ببقائه وحياته ووجوده، على أيِّ حالٍ، نحنُ لا نريدُ أن نُناقش الإسماعيليين في عقائدهم، لا شأن لنا بهم، أنا أتحدَّثُ عن هذا المؤلف وعن هذا الكتاب.

فأبو حنيفة هذا الإسماعيليّ كانَ في خدمة أول خليفة من خُلفاء الدولة الفَاطميَّة، وعاشَ معهُ في المهديَّة في تونس، قضى من عُمره في خدمة المهدي بالله بحسبِ عقائد الإسماعيليين، قضى في خدمته تسعَ سنين، وكانَ خَادماً مُخلصاً لهُ، ويعتقدُ بإمامته فإنَّهُ يعدُّهُ في مصافِّ الأَئمَّة كالإمامِ الباقرِ، كالإمامِ الصَّادقِ، وهذا يتَّضحُ من كتابه وسأقرأ عليكم من كتابه، كيف أنَّهُ يعدُّهُ، يعدُّ المهدي بالله في مصافِّ الأئمَّة من أمير المؤمنين إلى الإمام الصادق، ومن جاء بعدهم من أئمَّتهم من أئمَّة الإسماعيليين.

توفي المهدي بالله، وصارَ الخليفةُ من بعده من ولده، إنَّهُ القائمُ بأمرِ الله، في زمان القائمِ بأمرِ الله أيضاً كانَ أبو حنيفة في خدمةِ هذا الإمام وهوَ الَّذي عيّنهُ قاضياً من قبله في طرابُلس، طرابُلس ليبيا، طرابُلس الغرب والَّتي كانوا قديما يقولون عنها (اطْرَابُلْسْ).

وبعد أن توفي هذا الخَليفَةُ الإسماعيلي القائم بأمر الله صار الخليفةُ من بعده المنصور بالله، وكانَ أبو حنيفة في حاشيته، وكان قريباً منه وعيّنهُ قاضياً في المنصورية، والمنصوريةُ أيضاً مدينةٌ في تونس بناها المنصور بالله الفَاطمي عاصمةً لهُ بعد أن انتقل من المهدية العاصمة الأولى، فالمنصوريةُ كانت العاصمة، وكان الخليفةُ الفاطمي المنصورُ بالله، قاطناً فيها نقل مقرّ عرشه وحكومته إليها، وكانَ برفقته أبو حنيفة المغربي هذا الإسماعيلي، فعيّنهُ قاضياً في المنصورية في العاصمة.

ولَمَّا ماتَ المنصورُ بالله وجاء المُعزَّ لدين الله الفاطمي الخليفةُ الفاطميّ المشهور المُعزَّ لدين الله، كانت علاقةُ أبي حنيفة الإسماعيلي هذا بالإمام الإسماعيلي بالخليفة الإسماعيلي المُعزّ لدين الله كانت متينةً جِدَّاً جِدَّاً جِدَّاً، وأقوى من علاقته بمن تقدَّمهُ من الخلفاء، كانَ لصيقاً به، كانَ مستشاراً من مستشاريه، وكانَ يعتمدُ عليه في خواصِّ أموره، فجعلهُ (قاضي القضاة) وهذا المنصب عند الإسماعيليين من أخطر المناصب، جعلَهُ قاضي القُضاة وفي الوقت نفسه نصَّبهُ (داعي الدعاة)، الإسماعيليون يعرفونَ معنى هذه المصطلحات، معنى مصطلح (قاضي القضاة من قبل الخليفة الفاطمي)، هذا شيءٌ يختلفُ اختلافاً كبيراً عن قاضي القضاة في الدولة العباسيّة، هذا يُشيرُ إلى قُربه من أئمَّتهم الَّذينَ يعتقدون بعصمتهم ويعتقدونَ بقُربهم من الله، ويعتقدونَ بولايتهم الَّتي هيَ أرقى وأسمى من ولاية الأنبياء، هكذا يعتقدُ الإسماعيليونَ في أئمَّتهم، والكلامُ طويلٌ في شدَّة اعتقاد الإسماعيليين بأئمَّتهم، فحينما نصَّب المعزُّ لدين الله أبا حنيفةَ المغربي، إنَّهُ مؤلفُ هذا الكتاب حينَ نصَّبهُ داعي الدعاة، أتعلمون ما المرادَ من داعي الدعاة عند الإسماعيليين؟

أُقرِّب لكم الفكرة: بالضبط كمنزلة سلمان من رسول الله، كمنزلة سلمان من أمير المؤمنين، وقد تكونُ منزلةُ داعي الدعاة أعلى من منزلة سلمان ومن منزلة أصحابِ الأسرارِ من خاصة رسول الله ومن خاصة أمير المؤمنين.

هذا هو أبو حنيفة المصري المغربي التميمي الإسماعيلي، وربَّما يكون المالكي سابقاً على المذهب المالكي وفقاً لبعض المعلومات، لا شأنَ لنا بهذه المعلومات، الرجلُ عاشَ إسماعيلياً وماتَ إسماعيلياً، مات أبو حنيفة أيامَ خلافة المُعزّ لدين الله في القاهرة،

الَّذي صلَّى عليه هو المُعزّ لدين الله، إمامهم صلَّى عليه، هم لا يتعاملون معَ هؤلاء الخلفاء مثلما يتعاملُ العباسيون مع خُلفائهم، هم يتعاملون مع أئمَّة معصومين هكذا يتعاملون معهم، المُعزُّ لدين الله هو الَّذي صلّى على أبي حنيفة هذا.

حينما مَات أبو حنيفة المغربي من الَّذي عُيِّن قاضي القضاة من بعده في القاهرة؟ المُعزُّ لدين الله عيّن ولدهُ علياً الولدُ الأكبر، وكان من دُعاة الإسماعيليين أيضاً ومن عُلمائهم وقُضاتهم ورجالِ دينهم، فصارَ عليّ بنُ النعمان مؤلف (دعائم الإسلام)، صارَ ولدهُ قاضي قضاةٍ في الدولةِ الفاطمية من بعد أبيه مباشرةً، وكانَ في حاشية المُعزِّ لدين الله.

لَمَّا توفِّي ولدَهُ عليّ من الَّذي صارَ من بعده قاضي القضاة في الدولةِ الفاطمية؟ صارَ ولدهُ الثاني حُسين، حُسين بن النعمان المغربي صارَ قاضي القضاة في القاهرة عند الفاطميين بعدَ وفاة أخيه عَلي.

وتقولون لي بعد ذلك هذا شيعيّ من الشيعة الاثني عشريَّة؟! ومن أنَّهُ كانَ يتَّقي؟! أيّةُ تقيّة هذه؟ في أيِّ مكانٍ توضعُ هذه التقيّة؟ في أيِّ صفٍّ من صفوف أحكام التقيَّة أُصنِّفُ هذه التقيَّة ومن دونِ دليلٍ يدلُّ على ذلك؟! هذا هو مؤلفُ الكتاب.

تقدَّمَ الحديثُ عن مؤلف الكتابَ عن أبي حنيفة النعمانَ المغربي الإسماعيلي والَّذي قد يُعرفُ بابن حيّون، أبو حنيفة بنُ حيّون، المغربي، هذا الكتابَ أريدُ أن أُعرِّفكم به، في البداية أعطيكم صورةً إجماليَّةً عن الكتاب وبعد ذلك ندخلُ في تفاصيله كي أقرأ عليكم نماذج ممَّا جاءَ فيه.

هذا الكتابُ حينَ ألَّفهُ أبو حنيفة المغربي ألَّفهُ زمانَ المُعزّ لدين الله الفاطمي، والخليفةُ الفاطمي جعلهُ جعل هذا الكتاب دستوراً للدولة الفاطمية، من هنا صارَ هذا الكتاب مشهوراً، فكتاب (دعائم الإسلام)، منذُ أيام المُعزّ لدين الله الفاطمي إلى آخرِ خليفة، إلى أن قُتلَ آخرُ خليفة من خُلفاء الفاطميين إلى أن جاءَ صلاحُ الدين الأيوبي إلى مصر وقضى على الدولة الفاطمية، فمنذُ زمانِ المُعزّ الفاطمي إلى آخر يومٍ كان هذا الكتاب دستوراً

للدولة الفاطمية، من هنا صار كتاباً مُقدَّساً عند الإسماعيليين وإلى يومنا هذا، هذا هو الكتابُ الَّذي يُعدُّ بمثابةِ الرسالةِ العمليةِ المقدَّسةِ عند البُهرة إلى يومنا هذا، ولذا كُتبتْ عليه عندهم الحواشي الكثيرة، وترجموه إلى أكثر من لغة، واختصروه في مختصرات:

- منها ما جُعل للقُضاة مُختصراتَ للقضاة.
- ومنها ما جُعل لعامَّة الناس.
- وإلى يومنا هذا فإنَّ الرسالة العملية الأولى عند البهرة

إذا ما دخلنا في تجاويف هذا الكتاب:

ألَّفهُ وفقاً للعقيدة الإسماعيلية، روى في هذا الكتاب أحاديث عن العترة الطاهرة إلى حدِّ الإمام الصادق وتوقف، فليس هناك من ذكرٍ لأيِّ إمامٍ بعدَ الإمام الصادق، أكثرُ الأحاديث الَّتي ذُكرت في هذا الكتاب مرويةٌ عن الإمام الصادق، الإسماعيليون يروون عن الأئمَّة، ويروون عن إمامنا الصَّادق كثيراً، هذا أمرٌ معروفٌ عندهم ما هو بغريب، لكن حينما يقومُ المؤلفُ بالتأليف وفقاً للمنهج الإسماعيلي حتَّى وإنْ ذكرَ أحاديثَ صحيحةً عن إمامنا الصَّادق هذا لا يعني أنَّهُ صارَ شيعياً جعفرياً، ولا يعني أنَّ كتابهُ صارَ كتاباً شَيعياً جعفرياً.

قد تقولون: من أين جاء بالأحاديث عن إمامنا الصَّادق؟ الإسماعيليونَ عندهم الكثير من الكتب الَّتي تشتملُ على أحاديث إمامنا الصَّادق وإن ضاعت وأحرقت ولكن إلى يومنا هذا بأيديهم بعض الكتب الَّتي تشتملُ على أحاديثِ الإمام الصَّادق، هم حرَّفوها، هم حرَّفوْا هذهِ الأحاديث في الجهة الَّتي يريدونها.

كيف نشأت دولتهم؟ نشأت دولتهم وفقاً لفكرة المطالبة بثأر ا لحُسينِ الَّذي سيتحقَّق على يدِ المهدي الَّذي سيقوم، وقام مهديهم عبيد الله المهدي، هذا الَّذي يقولون عنه المهدي بالله، هذا هو مهديهم، نعم تطورت العقيدةُ بعد ذلك وهم ينتظرونَ خليفةً من خُلفائهم الَّذي غاب عن مجلسه وعرشه، حكاياتهم طويلةٌ مُفصَّلةٌ فهم تشقَّقوْا وتفرقوْا بعد ذلك، لكنَّني أتحدَّثُ عن شخصية كانت موجودةً في بدايات الدولة الفاطمية، إنَّهُ أبو حنيفة النعمان المغربي مُؤلفُ هذا الكتاب، فلا شأن لنا بما آلت إليهِ أمورُ الإسماعيليين فيما بعدَ ذلك، فليس البرنامج للحديث عن تاريخ الإسماعيليين وعن مجموعاتهم وفرقهم واتجاهاتهم.

نتصفَّحُ الكتاب:

سأذهبُ إلى بعض الأمثلة الواضحة:

في صفحة (٥٤) من الجزء الأول / من طبعةُ دار الأضواء / بيروت - لبنان / الطبعةُ الأولى / في صفحة (٥٤) يتحدَّثُ عن المهدي بالله ويُشير برمزٍ إلى الصلوات عليه: **وقد كانَ في عصر المهدي بالله (صلواتُ الله عليه)، وبلغنا من خلاف رجالٍ كانوا كانوا** - ثُمّ تحدَّث عن أنَّ المهدي قد عاقبهم - **فعاقبهم المهديّ بالله (صلواتُ الله عليه) أشدَّ العقوبة وأنزل بهم سوء العذاب لكُلٍّ بقدرِ استحقاقه وانتحاله وكُفره** - هو يتحدَّثُ عن دُعاة من كبارِ دُعاة الإسماعيليين - **فقتل قوماً صبراً وصلب آخرين وأبقى قوماً في السجونِ مصفدين حتَّى هلكَوْا أجمعين** - هو يتحدَّثُ عن الفتنِ العقائديةِ الَّتي أصابت القوم، الَّذي أردتُ أن أُشير إليه وهو يتحدَّثُ عن الأئمَّةِ وعن الإيمانِ فيأتي بذكر المهدي بالله في سياقِ أنَّهُ إمامٌ من الأئمَّةِ ويُصلِّي عليهِ كما يُصلِّي على الأئمَّة من عليٍ إلى الصَّادق صلواتُ الله عليهم.

في صفحة (٥٥) يتحَدَّث عن الخليفة المنصور بالله: **وَسمعنا وليّ الله المنصور بالله (صلواتُ الله عليه) ورحمتهُ وبركاتهُ ونظَّرَ وجهه وأعلى ذكرهُ وأسنى درجتهُ ورزقنا شفاعتهُ، وقد ذَكرَ مثل هذا المعنى فقال لَمّا أصارَ اللهُ جلَّ ذكرهُ المهدي بالله (صلواتُ الله عليه) إلى رضوانه ورحمته وأفضى الأمرُ من بعده إلى ولده القائم بأمر الله (صلواتُ الله عليه) ذكر يوماً بعد ذلك أمر الأئمَّة (صلواتُ الله عليهم)** - إنَّهم أئمَّةُ الإسماعيليين - **وإلحاد من ألحد فيهم، فتنفَّسَ الصُعداء وانقبض وظهرت عليه الخشية ونحنُ بين يديه ورأينا أثَرَ الخوف والخشية عليه، ثُمَّ قال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، وذكر المنصورُ بالله (صلواتُ الله عليه) عنه كلاماً** - إلى آخر ما قال، إنَّهُ يتحدَّثُ عن هؤلاء الخلفاء بعنوانِ أنَّهم أئمَّةٌ معصومون استمراراً لسلسلة الإمامة الَّتي يعتقدون بها والَّتي توقفت عند الصَّادق، عند إمامنا الصَّادق صلواتِ اللهِ عليه واستمرّت في ولدهِ إسماعيل حتَّى وصلت إلى هؤلاء.

آخذ مثَالاً آخر:

صفحة (١٧١)، وغريبٌ المحدِّث النوري عدَّ هذا الكلام دليلاً على تشيّع المؤلِّف، في صفحة (١٧١) يقول: **(وروِّينا عن الأئمَّة)**، هو لا يشير إلى المصادر، هناك من يقول من أنَّهُ رُبّما نقل عن (كتاب الجعفريات)، لأنَّ مؤلف هذا الكتاب كانَ في مصر. هو يقول: **وروِّينا عن الأئمَّة صلواتُ الله عليهم أنَّهم أمروْا بالتقرُّبِ بعدَ كُلِّ صلاة فريضة** - بالتقرُّبِ يعني بالدعاء، يعني التعقيب - **إذا سلَّم المصلي بسط يديه ورفع باطنهما ثُمَّ قال: اللَّهُمَّ إنِّي أتقرَّب إليكَ بمُحَمَّد رسولك ونَبيِّك وبوصيّه عَليٍ وَليِّك وَبالأئمَّة من وُلده الطاهرين الحَسنِ والحُسين وعليِّ بنِ الحُسين ومُحَمَّد بن عليّ وجعفرِ بنِ مُحَمَّد** - ثُمّ ماذا يقول؟ - **ويُسمي الأئمَّة إماماً إماماً إلى أن ينتهي إلى إمامِ عصره، ثُمَّ يقول: اللَّهُمَّ إني أتقربُ إليكَ بهم وأتولَّاهم وأبرأُ إليكَ من أعدائهم** - إلى آخر الكلام.

ما هو توقف عند الإمام الصَّادق، هو لم يكن يعيشُ في زمن الإمام حتَّى نقول توقف عند إمامِ زمانه، هو توفي سنة (٣٦٣) بعد انتهاء الغيبة الأولى الغيبة الصغرى بـ ٣٤ سنة، إنَّما وقف عند الإمام الصَّادق لأنَّ الإسماعيليين يقفون عند الإمام الصَّادق، ثُمَّ يُلحقون أسماء أئمَّتهم الباقين، فهكذا قال: (**وجعفرِ بنِ مُحَمَّد ويُسمِّي الأئمَّة إماماً إماماً**) ، إنَّهم الأئمَّةُ الَّذين يتحدَّثُ عنهم في هذا الكتاب، مثلما تحدَّث عن المهديّ بالله، وتحدَّث عن القائم بأ مرِ الله، وعن المنصورِ بالله، وعن الأئمَّةِ الَّذينَ سبقوهم من أئمَّةِ الإسماعيليين، أستغربُ كيف أنَّ المحدِّث النوري يستدلُّ بهذا على تشيّعهِ وعلى أنَّهُ

شيعيّ اثنا عشري، لا شأن لي بالمحدِّث النوري هذا الكلامُ دِلالتهُ واضحة على أنَّهُ إسماعيليّ صِرف وهو مصداقٌ يُصدِّقُ ما تقدَّم من حديثٍ وما قرأتهُ عليكم من مقاطع يتحدَّثُ فيها عن أئمَّته الإسماعيليين.

أمَّا في الجزء الثاني من هذا الكتاب بحسَبِ الطبعة الَّتي أشرتُ إليها، أيضاً سآخذ أمثلةً:

صفحة (١١٥) من الجزء الثاني، وعند الحديث ٣٨٣، روى حديثاً عن إم امنا الباقر، لا أجدُ وقتاً كي أقرأ الأحاديث، روى حديثاً عن الإمام الباقرِ عن إمامنا السجَّاد بخصوص ماذا فعل حينما رأى خبزاً مطروحاً على الأرض، وهو أمرٌ مكروهٌ وإذا ما صار الاستخفافُ بالنعمة قد يتحوَّلُ إلى أمرٍ محرم، على أيِّ حال، ذكر أمراً إمامنا الـ باقر عن إمامنا السجَّاد، هو ألحق حديثاً من عنده المؤلِّف، يُحدِّثنا عن سيرة المهدي بالله فيُقارن ما بين سيرة الإمام السجّاد وسيرة المهدي بالله، فإنَّهما على حدٍّ سواء، هذا إمام وهذا إمام: **الإمامُ البَاقرُ يقول: كَانَ أبي عَليّ بنُ الحُسين إذَا رَأى شَيئاً من الخُبز** - إلى آخر ما حدَّث به باقر العلوم صلواتُ الله عليه، وهو يُكمل: **وكانَ المهديّ بالله قد أمر مرَّةً** - إلى آخرِ الكلام، حديثٌ أيضاً عن موقف المهدي حينما رأى الخبز موجوداً على الأرض في حُجَرِ دارِه، يُقارنُ مقارنة واضحةً يستدلُّ بها على حُكمٍ شرعيّ على أمرٍ شرعي، فيساوي بين سيرة الإمام السجَّادِ وبين سيرة المهدي بالله.

في صفحة (١٦٩)، وعند الحديث (٦٠٧)، يقول: **وعن أبي جعفرٍ وأبي عَبْد الله عليهما السّلام** - عن الباقرِ والصّادق - **أنَّهما رخَّصا في أكلِ مَا أمسكَهُ الكلبُ المعلَّم** - المعلَّمُ للصيد - **أنَّهما رخَّصا في أكلِ ما أمسكهُ الكلبُ المعلَّم وإنْ قَتلَهُ وأكلُ منه** - باعتبارِ أنَّ الَّذي أطلق الكلب قد ذكَّى بالتسمية، الأحكام الشرعية الَّتي نعرفها في بابها - **ولم يُرخِّصا فيما أكل منهُ الطير** - لأنَّ الطيرَ نستطيعُ أن نصطاد به أمثال الصقور، لكنَّ صيدهُ ليس مذكَّىً وإنَّما نأخذ صيدَ الطيور إذا كانَ الصيدُ حيّاً، إذا لم يكن الصيدُ حيّاً فإنَّهُ ليس مُذكَّىً بحسبِ فقه جعفرِ بنِ مُحَمَّد، هذا الكلامُ كلامٌ صحيح - **وكان المهدي بالله يقول فيما أمسك الطير يُؤكلُ منه** - بخلاف ما يقول الباقرُ و الصَّادق، وبعد ذلك نَفسهُ أبو حنيفة المغربي يُدافعُ عن قولِ المهدي بالله الَّذي يُخالفُ كلام الباقرِ والصَّادق الَّذي ذكرهُ هو بنفسه، يقول: **وأمّا ما ذكرهُ** - يعني المهدي بالله - **ممَّا أمسك الطير فهو من الجوارح الَّتي أباح الله تعالَى أكل ما أمسكت** - فهو يخا لفُ الإمام الباقر والصّادق وهو يُدافعُ عنه لماذا؟ باعتبارِ أنَّهُ إمام والإمامُ المتأخِّر هو الَّذي يكونُ قولهُ مأخوذاً وفقاً لهذه الرؤية، فهل هذا شيعيّ جعفري؟ ها هو يُقدِّمُ قول المهدي بالله يعني عبيد الله المهدي على قولِ الباقرِ والصَّادق!

وفي صَفحة (٢٢٨)، رقم الحديث (٨٥٨)، ينقلُ حديثاً عن رسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله من أنَّهُ حرم نكاح المتعة، ويتحدَّثُ عن هذا الموضوع في الصفحة الَّتي تليه، هذا أمرٌ معروفٌ عن الشيعة الاثني عشرية من أنَّهم يُشرِّعون نكاح المتعة، وأمرٌ واضحٌ لا حاجة للنقاش فيه، لكنَّهُ هنا بشكلٍ صريحٍ يُحرِّمُ هذا النكاح وينسبُ هذا التحريم إلَى رسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله، هذا في صفحة (٢٢٨) وما بعدها (٢٢٩).